الانتقاد

لا يخفى ان للانتقاد مرتبةً عالية ولاسيما في عصر قامت فيهِ اسواق العلوم وراجت بضائع العقول وتعدد العلماء وكثر الادباء والشعراء وعظم قدر ارباب الاقلام وجلَّ شأنهم في نفوس كبراء الأنام . فكم من هائم بهِ يراهُ اجمل من عزَّة في عين كثيِّرها ومن مية في عين غيلانها ومن بثينة في عين جميلها ومن عفراء في عين عروتها ولا يرى للاحصاء في الطبقة الاولى بين العلماء ذريعةً غيرهُ فما اكثر ما تسمع من هذا واضرابهِ "يا لها من سقطة . وما افضحها غلطة وهذه زلة كبيرة . وكم في هذا الديوان من المطاعن . وفي هذه الصحيفة من المغامز" الى سائر ما يتعلق بالانتقاد والردّ والمناقشة والمناظرة. قلت ما احسن هذا لو ضموا اليهِ ما يؤهلهم للنهوض باعبائهِ ويجعلهم من اكفائهِ وينصب لهم كرسيَّ الافتاء ويقلدهم القضاء . فالانتقاد الأطرد ضلال ودعاء رشاد . وردهُ خطاء . وقبول صواب . وان شئت فقل هو الهداية الى اقوم المسالك . وارشد المناهج . او قل هو للاعمال والأقوال كالطبِّ للابدان والتشذيب للاشجار . وكما اعضل التفريق بين الحقّ والباطل . واشكل التمييز بين الصحَّة والعلَّة كان الانتقاد اجلَّ وقعاً واعظم نفعاً وكفى بمعناهُ اللغوي شاهداً بما وصفتهُ بهِ من سمات الفضل وبما عزوت اليهِ من آثار النبل . فان كانت كرَّتهُ على الاخلاق طهَّرها من ادرانها او على التآليف خلَّصها من اغلاطها . او على الاذواق ازال مرارتها ونفى بشاعتها

الجدير بان ينتقد الاخلاق

لا جرم ان التنبيه على العيب او الخطاء مفيد كائناً من كان فاعلهُ . على ان من يحمل على مساوىء الاخلاق ويشنُّ الغارة على قبائح العادات لا بدَّ ان يكون ممن يقول بفعل ويفعل بقول . من كل من حسنت سيرتهُ . وطابت سريرتهُ . وعظمت حرمة الآداب عندهُ . واستقطع اضاعة الحقوق . واستكره التلوُّن والكنود . فمثل هذا متى قام في الملإ خطيباً يندِّد بفساد الآداب . ويعدِّد ما وراءهُ من المضارّ ويحضُّ الناس ان يقلعوا عنهُ اجتمع لهُ شاهدا القول والفعل ورجا ان يبلغ بالكلام أربهُ . ويدرك ما أمَّلهُ من الاصلاح ويرى الاخلاق الشريفة منتصرةً والاخلاق السافلة منبوذةً والمذامّ فارَّة من وجوه المحامد

واما من يهدم بفعلهِ ما يبنيهِ بقولهِ فليس لهُ ان ينصح قومهُ لينتقد على الناس مساوئهم فان صعد منبر الخطابة عدُّوهُ منافقاً وحسبوهُ مرائياً ولم يلتفتوا الى كلامهِ ولو نطق بلسان

صحبان وملك ناصية البيان لانهُ متنكّب الحجة . فلا يخجل لهُ قول ولو ايّدهُ بالف حجة . وعلّمهم بتتبع سيرتهِ يذكرهم ما قال السيد المسيح يوم جاءهُ جماعة من اليهود بالبغيّ " من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر " ولسان الحال ينشدهم الأبيات المشهورة التي كثيرًا تمثّل بها الخطباء و لادباء في مثل هذه الحال وهي

يا ايها الرجلُ المعلّمُ غيرهُ ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
فابدأ بنفسك وانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنهُ فانت حكيمُ
لا تنهَ عن خلق وتأتي مثلهُ ... عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

الجدير ان ينتقد الكلام

كلُّ من بلغ بهِ ادراكهُ ان يعرف الخطاء من الصواب ويقيم الدليل عليهِ فلا يغلق في وجههِ باب الانتقاد فان وقع على الصواب و بيّن من الخطاء ما يرُدّ بهِ اللبيب ولا يعدّهُ خطاء كان ذلك خدمةً للعلم . وليس للمنتقد عليهِ ان صحّ هذا الافتراض ان يتصدّى لردّ لمكان ان ردّهُ انما يكون من باب التمويه والمغالطة . وهذا ما لا يرضاهُ لنفسهِ عالم وحسبهُ ان يتمثّل بقول الشاعر

ومن ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها ... كفى المرء نبلاً ان تعدّ معايبهُ

بل عليهِ ان يعدّ المنتقد مبيّنًا لهُ في خدمة العلم ويشكرهُ كما يشكر الرجل من يعينهُ على بلوغ أربهِ ولكن ان كان كشف الغطاء عن ذلك الخطاء مما لا يفوت فهم المطالع اللبيب فخليق بالمنتقد الاّ يلج باب الانتقاد وجدير بهِ الاّ يسفّ الى التنبيه على ما يُعرف بادنى تأمل صونًا لقدرهِ وحرصًا على مقامهِ ولكن يحسن بهِ ان يصلحهُ كأنهُ غلط ارتكبهُ هو نفسهُ

ومن المضحكات المبكيات ان معظم ما نرى هذه الايام من الانتقادات التي يتبجح بها اصحابها و يؤمّلون ان تكون سرقةً لهم الى ذروة التفرّد وقمّة التفوّق انما يتعلق بهفوات لا يصعب على اضعف المطالعين ان يعرفها او ينبّه لها . فما التعرّض لانتقاد مثل هذه الهفوات واخراج ذلك مخارج التعظيم والتحقير للمنتقِد والمنتقد عليهِ الاّ حطة من قدر المتعرّض للحطة كأنهُ يوهم بصنيعهِ ان غيرهُ يمرّ بها ولا يدري انها اغلاط وليس الامر كذلك ولو سوّغ العقل لأدب ان يجري هذا المجرى لألصق الجهل باكابر العلماء وافاضل الشعراء اذا قرأ مثل نسخة " ونبات الاعيان " المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٩ هـ او مثل نسخة " المثل السائر " المطبوع بها ايضًا سنة ١٣١٢ لما يعثر عليهِ ثمة من الخطاء الفاضح الذي انزلهُ بأقوالهم سهو مرتبي الحروف وغفلة المصححين . فكان يرمي البحتريّ والعباس بن الاحنف والقاضي عبد

الوهاب البغدادي وابن الاثير وابن خلكان بجهل موازين الشعر ويؤيد دعواه بما جاء في ديوان البحتري المطبوع بالاستانة سنة ١٣٠١ هـ حيث يقول

جاءتك أسرى في الحديد اذلّةً مجموعة الى الايدي الاذقان

والاصل "مجموعة الايدي الى الاذقان" وبما رُوي في ترجمة العباس بن الاحنف من قوله

ترَكَ البكاء دموعَ عينك قاصرٍ عيناك لغيرك دمعها مدرارُ

واصل الرواية عيناً لغيرك . وبما نقل ابن خلكان من شعر القاضي عبد الوهاب البغدادي

خُذيها وكفّي عن أثيم ظُلامةً وان لم أنتِ ترضَيْ فألقاً على العلّ

والرواية "وان انتِ لم ترضي فألقاً على العلّ" وبما أثره في ترجمة عطاء بن ابي رباح وهو

سلِ الفقيَ المكيَّ هل في تزاورٍ وضمّةِ مشتاق الفؤاد جُناحُ

فقال معاذ الله اين يذهب التُقى تلاحقُ اكبادٍ جنّ جُراحُ

والرواية "ان يذهب" فزاد مرتّب الحروف او الناسخ ياء بين الهمزة والنون فصارت "اين" وغفل المصحّح عن تصحيحها

وبما رواه ابن الاثير في "المثل السائر" من قول البحتري في وصف مصلّين

تحسد الطيرَ فيهِ صنع البوادي وهو في غير حالة التسوير

والرواية "تحسدُ الطيرَ فيهِ ضبع البوادي" وبما اثر عن المتنبي وهو

وانّ لها شرقاً باذخاً وانّ اظلام بها تجعلُ

والرواية "باذخاً" بالخاء المعجمة لا بالحاء المهملة

وبما روي من قول احد الشعراء وهو "ليس الحجابُ بمقصٍ منك لي املاً"

والرواية "بمقصٍ" بالصاد المهملة لا بالضاد المعجمة

وبما جاء في العقد الفريد وهو

غزلٌ ليس لي منهُ سوى الحزن الطويلِ

والرواية "غزالٌ" . وقوله

وما انتِ والوعد الذي تعدينني الاّ كبرقٍ سحابةٍ لم تمطرِ

والرواية "كبرق" بالقاف لا بالتاء . ويندرج في مثل هذه الاغلاط الطارئة بسهو الناسخ او الطابع الغلط الواقع في قوله

حمدتُ إلهي اذ بُليتُ بحبها وبي حولٌ يُغني عن النظر الشزر

والرواية "النظر الشزر" بالزاء والراء لا براءين كما وقع خطأ

وكذا الغلط الواقع في لفظة المصامدة فقد كتبت المصادمة بتقديم الدال على الميم كما ترى في ترجمة عبد المؤمن صاحب المغرب في نسخة كتاب الوفيات التي سبق ذكرها قال "فتوجه الى الجبال وحشد واستمال المصادمة" والغلط الواقع في لفظة "البدائه" حيث كتبت خطأ "البداية" بتنقيط الهاء (راجع ترجمة ظافر الحدّاد في كتاب الوفيات) هذا ولولا خشية الاملال لسردت لك ما شاء الله من نظائر هذه الاغلاط

ولقائل ان يقول أيحسن عندك ان تبقي مثل هذه الاغلاط لا يتعرّض لاصلاحها احد قلت كلاّ ولكن متى وقع في كتاب عدّة زلّات من هذا النمط طرأت على الكتاب بغفلة الناسخ او سهو الطابع يجمل بمن تيسرت لهُ فرصة ان يجمعها وينشرها في مجلة ما سالكاً مسلك المؤلف في اصلاح ما يرى في كتابهِ من الخطاء ويصدّر الجدول الذي يعملهُ بقولهِ "هذا جدول يتضمن ما اوقعهُ السهو في الكتاب الفلاني من الاغلاط مما يقطع العاقل انهُ لا يقع من صاحب التأليف الاّ سهواً"

وهنا اقول اولاً لا بدّ ان نتحرّى صحة الرواية في مثل هذه الكتب قبل الطبع وان يبذل الوسع عند الطبع في مراجعة المسوّدات وان يحضر اصحاب المطابع بأجرة من يختار للمقابلة والتصحيح حتى يحكموا المراجعة

وثانياً ان من يصلح اغلاط الكتب على الوجه الذي ذكرتهُ يأتي بعمل يستوجب الثناء عليهِ وان كان ليس في كشف مثل تلك الهفوات ما يدلُّ على تميُّز في الذكاء او ترفّع عن القرناء واقلُّ فوائدهِ سلامة المقفّلين من الخطاء

وقد دوّن الناس حكايات في التصحيف عجيبة منها ان القاضي احمد بن كامل "قال حضرت بعض مشايخ المحدثين المقفّلين فقال عن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم عن جبريل عن الله عن رجل فقلت من هذا الذي يصلح ان يكون شيخ الله فاذا هو قد صحفهُ . واذا هو عزَّ وجلَّ"

ومنها ان بعض الاكابر قرأ يوماً على السلطان الملك الناصر قصةً قال فيها "المملوك من حملة الكتاب" فقرأها من حملة الكتان فقال السلطان من حملة الكتاب العزيز . قلت فكفى بمثل ما دُوّن من نحو ما مرَّ بك من حكايات التصحيف الغريبة دليلاً على ان من يصلح ما يقع في الكتب من اغلاط الطبع او النسخ ينبغي ان يقابل بالشكر وما هو الاّ عامل للمؤلف على خدمة العلم وسلامتهِ

الانتقاد الذوقي

قد بقي عليَّ ان اذكر الانتقاد الذوقيَّ فهذا من بعض الوجوه اوعر من سائر انواع الانتقاد طريقاً واعلى منها قدراً واوفر نفعاً ولا يضطلع بهِ الاَّ من احاط علماً بمقتضيات الاحوال واستنار بمصابيح فطنةٍ وهَّاجة . وكان لهُ في مضمار الانشاء جولة الفوارس وفي أندية الادب رئاسة الجالس . وقد رأينا من اغلاط المتعرضين للانتقاد الذوقيّ ما يغضّ من قدرهم فبعضهم اذا وقع على عبارة فيها الحرف الذي لا يفهمهُ ينكر العبارة على قائلها وان كانت من البلاغة بالمكان العالي ولا يدري ان من الغريب ما يحسن استعمالهُ . قلت وربما يكون ذلك غريباً لا على غيرهِ من الادباء والخواص

نعم لو ان كاتباً اختار الشيذُمان على الذئب والشينعور على الشعير . والخضْرِب على الفصيح البليغ . والخِضْرِيج على البطيخة . وآثر الخضعبة على الضعف . والجُعْدُبة على نشّاخات الماء . والضرْجع على التمر وهلمَّ جرًّا الى سائر ما انطوت عليهِ معاجم اللغة من نظائر هذه الحروف التي مجتها ولا تزال تمجها الاذواق السليمة لجاز ان ينكر عليهِ ذلك اللهم الاَّ ان يكون قد استعملها لداعٍ لا مناص منهُ . ولكن ان كان المنتقد غير قادر على التفريق بين المحسن والمستهجن وبما يجب ان يعلن وما يجب ان يكتم وما يجب ان يصرَّح بهِ او يكنى عنهُ . ولا بين ما يقبح في مقام ويحسن في مقام او يستحسن عند اناس ويستكره عند اناس ولا بين ما الايجاز فيهِ واجب والاطناب ممتنع وبالعكس . فان كان كذلك فأحرِ بهِ ان لا يتطاول الى ما لا تصل اليهِ يدهُ فراراً من ان يسمع لسان الحال ينشدهُ

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرًّا بهِ الماء الزُّلالا

ومن الانتقادات الذوقيَّة الواقعة مواقع الصواب انتقاد صاحب لسان العرب على ابن الاثير . قال " فرأيت ابا السعادات المبارك بن محمَّد بن الاثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية . وجاوز في الجودة حدَّ الغاية غير انهُ لم يضع الكلمات في محلها . ولا راعى زائد حروفها من اصلها . فوضعتُ كلاًّ منها في مكانهِ . واظهرتهُ مع برهانهِ " ومنها ايضاً انتقادهُ على علماء اللغة طريقتهم في التأليف وهذا نصّ كلامهِ " رأيت علماءها (اي اللغة) بين رجلين أمَّا من احسن جمعهُ فانهُ لم يحسن وضعهُ واما من أجاد وضعهُ فانهُ لم يُجد جمعهُ . فلم يُفد حسن الجمع مع اساءة الوضع . ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع . ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن احمد الازهري ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن عليّ بن اسماعيل بن سيده الأندلسيّ . وهما من امَّهات كتب اللغة على

القديق وما عداها بالنسبة اليها ثبّات الطريق . غير أنّ كلاً منها مطلب عسر للهلك . ومنهل وعر للسالك . وكأنّ واضعهُ شرع للناس موردًا عذبًا وحلأهم عنهُ . وارتاد لهم مرعًى مريعًا ومنعهم منهُ . قد أخّر وقدّم وقصد ان يعرب فأعجم "

فلهِ درّ ابن منظور من متقدم اثبت لنفسهِ التحقّق بالانصاف مع بسطة العلم وسلامة الذوق . فمن اشتهت نفسهُ عليهِ الانتقاد فليقتصّ اثرهُ

سعيد الخوري الشرتوني

القمر واحدث الآراء فيهِ

ليس من غرضنا ان نكتب مقالة مسهبة عن القمر بعد ما كتبناهُ عنهُ في السنين الماضية بل ان نذكر خلاصة ما وصل اليهِ بحث العلماء فيهِ بعد ان أُلقنت وسائل البحث وبلغت مبلغًا يفوق الوصف

يبعد القمر عنا نحو مئتي الف ميل . مسافة قصيرة جدًّا بالنسبة الى ابعاد الاجرام السموية ولكنها بعيدة قاصية بالنسبة الى الاماكن التي على وجه الارض فان محيط الارض كلهُ لا يبلغ خمسة وعشرين الف ميل اي ثمن المسافة منها الى القمر . ومع هذا البعد الشاسع بالنسبة الى الاماكن الارضية فعلماء الفلك يعرفون عن القمر اكثر مما يعرف عن قلب افريقية او قلب اسيا فيقيسون ارتفاع جبالهِ وانخفاض وهادهِ بالضبط التام ويعرفون كل تغيّر يحدث فيها وهم يجهلون حتى الآن ارتفاع كثير من الجبال التي في قلب اسيا وقلب افريقية ويجهلون شكلها وشكل البلاد التي حولها

من حين اكتُشف التلسكوب وعلماء الفلك يرصدون القمر بهِ ويخططونهُ ويصوّرونهُ ويقيسون ارتفاع جبالهِ واتساع بحارهِ . اما البحار فاسم لغير مسمّى سهول فسيحة ولكن لا نقطة ماء فيها واما الجبال فجبال حقيقية بل في ارفع من جبال الارض بالنسبة الى حجم القمر وفي كثير منها تجاويف كبيرة ككؤوس البراكين . ويشعّ من بعضها اشعة من النور كأنّ فيها حجارة كبيرة من الماس او من البلور او من مادة اخرى متبلورة تعكس ما يقع عليها من النور . كل ذلك خُطّط وصوّر وسُمّي باسماء يعرف بها

وقرنا فرد لا مثيل لهُ بين اقمار السيّارات لانهُ اكبرها كلها فان قطرهُ ٢١٩٣ ميلاً واذا نظرنا بتلسكوب كبير الى المشتري واقمارهِ رأينا الاقمار نقطًا صغيرة جدًّا بالنسبة الى